

الفصل الثامن

المحاكمة

خافت السلطات أن تؤدي محاكمة أحمد ياسين إلى زيادة التوتر في المناطق وإلى زيادة أعمال «الشغب» كما تسميها السلطات وذلك لأن أحمد ياسين الذي حوكم أمام القضاة في محكمة غزة الواقعة في منطقة الجلاء في المرة السابقة قررت السلطات أنه غير أحمد ياسين رئيس حركة المقاومة الإسلامية حماس الذي حقق لنفسه وحركته جماهيرية واسعة وتأييد شعبي واسع النطاق. كما أن السلطات قد تخوفت أيضاً من قيام أتباع الشيخ أحمد ياسين في حركة المقاومة الإسلامية حماس من القيام بعملية اختطافه وإطلاق سراحه مما سيعد ضربة لقوى الأمن الإسرائيلية كلها وهذا ما لا تريده السلطات أو ترغب فيه كما أنها ربما فكرت في أن محاكمة أحمد ياسين في منطقة أخرى غير وسط مدينة غزة سيخفف من الحضور الجماهيري المعتاد لمحاكمات أمثاله وما يمكن أن يصاحبها من مشاكل أمنية.

من هنا قررت السلطات إبعاد مكان المحاكمة إلى المنطقة الصناعية في إيرز وهي تقع بجانب الحدود الإسرائيلية وقريبة من منطقة التواجد العسكري في مستعمرة نيسانيت ويد مردخاي ومنطقة إيرز نفسها التي تزخر بوجود عسكري كبير على نقطة العبور في شمال القطاع وهي تقع في أقصى شمال القطاع وإمكانية حضور أعداد كبيرة من الناس إمكانية ضئيلة ثم يمكن التحكم فيها من خلال البوابات التي تحيط بالمنطقة الصناعية في الشمال والجنوب أما الغرب فتأتي مباشرة حدود المستعمرة نيسانيت ولا مجال لعبورها أيضاً.

إذا كانت منطقة إيرز منطقة مثالية فعلاً لمحاكمة الشيخ أحمد ياسين الذي تنظر إليه السلطات الإسرائيلية على أساس أنه مفجر الانتفاضة والأب الروحي لها وللعمل العسكري الإسلامي في القطاع والضفة.

لذلك ففي ٢ يناير ١٩٩٠م يوم محاكمة أحمد ياسين كانت القوات الإسرائيلية قد أحكمت إغلاق المنطقة الصناعية ومنعت العمال الفلسطينيين الذين يعملون في المنطقة من الوصول إليها وفي نفس الوقت قامت قوات أخرى بتجهيز قاعة خاصة إختارتها السلطات في مكاتب دائرة الصحة.

أثار هذا الاختيار بحد ذاته اهتمام الجماهير الفلسطينية التي أدركت أهداف السلطة في إبعاد مكان المحاكمة عن وسط مدينة غزة وقد أثار هذا استياء عاماً لدى أوساط الشعب كله ولكن ذلك لم يغير شيئاً.

في الساعة التاسعة من يوم الأربعاء حضرت قوة كبيرة مكونة من سيارات جيب عسكرية تحرس سيارة مماثلة عبارة عن زنزانة يقبع داخلها الشيخ أحمد ياسين والذي أقلته من سجن الرملة العسكري إلى صدر القاعة التي ازدحمت فيها قوات عسكرية كبيرة من الشرطة العسكرية وقوات الجيش وحشد كبير من الصحفيين وعدساتهم وأجهزة تليفزيوناتهم وبعض أفراد عائلة الشيخ ومحامو الدفاع إضافة إلى بعض أفراد عائلتي الجنديين آفي ساسبورتاس وإيلان سعدون اللذين اختطفوا وقتلا كما أظهرت أضاير التحقيق سابقاً.

وقام شرطيان إسرائيليان بدفع كرسي الشيخ أحمد ياسين المتحرك أمامهما وإدخاله قاعة المحكمة التي عقدت مباشرة برئاسة الكولونيل إيلي زخرمان رئيس المحكمة العسكرية في قطاع غزة وحضور الميجور بانير رابنيوفيتس والميجور موشيه جيل وحضور المدعين العسكريين لينو ليفيه وآفي ليفي أما محامو الدفاع فقد كانوا فايز أبو رحمة نقيب المحامين في القطاع سابقاً وعادل خليفة أمين سر نقابة المحامين آنذاك وعبد المالك دهامشة وناظم عويضة وإبراهيم أبو دقة وعمر البرس وعبد الكريم شبير وأخذ هؤلاء الأماكن المخصصة لهم في المحاكمة.

وحين قررت هيئة المحكمة تلاوة لائحة الاتهام طعن المحامي عبد المالك دهامشة الذي تحدث باسم موكله وباقي زملائه المحامين بهذا القرار لأنه لم يستلم حتى تلك اللحظة ملف القضية وطعن الشيخ نفسه بالمحاكمة وقال أن المحكمة لا تملك صلاحية شرعية وقانونية لمحاكمة لأنها محكمة لاحتلال كله غير شرعي وغير قانوني.

ثم أضاف الشيخ أن أحد القضاة كان قد أوقفه ثلاث مرات وهذا سيؤثر على سير المحاكمة لأنه سبق أن أجرى معه نقاشاً سياسياً إلا أن قضاة المحكمة رفضوا

طعونات المحامين وطعونات الشيخ^(١) وادعت النيابة بأن المحكمة شرعية وقانونية وعندها وجه سؤال من الدفاع للمحكمة هل تستمدون الصلاحية لهذه المحكمة من معاهدة جنيف فردوا أن صلاحيتهم هي من القائد العسكري للقطاع حينها رد الدفاع أن القائد العسكري يمثل الاحتلال الغير شرعي^(٢).

بدأ رئيس القضاة تلاوة لائحة الاتهام الموجهة ضد الشيخ أحمد ياسين متضمنة خمسة عشرة بنداً ثم في النهاية قرر القضاة تأجيل النظر في القضية إلى جلسة ثانية لم يحدد موعدها أو شكلها ما بين علنية أو سرية استمرت الجلسة مدة ثلاث ساعات قام محاموا الدفاع فيها بتقديم الردود على بنود الاتهام وفي أثناء الجلسة دار نقاش بين الشيخ أحمد وهيئة المحكمة ذكر فيه الشيخ أن ما صنعه هو واجب إلزامي بإقامة المنظمات ومقاومة الاحتلال وهو حقه الشرعي وهو يعتز بإقامة حماس التي هي في الأساس منظمة سياسية وهدفها الوحيد هو ضمان حقوق الشعب الفلسطيني في العيش في أمان واطمئنان على «أرض وطنه» وهنا تدخل أحد القضاة وقال هل هناك تحديد لأرض وطنه وكان الجواب بأن التحديد ليس في هذه الساعة وهذا الوقت ونحن لا نتفاوض الآن على حدود الدولة الفلسطينية وإسرائيل حتى الآن لم تحدد حدودها فكيف يتوقع من منظمة لا زالت تحارب رسم حدود دولتها وهنا تدخل رئيس المحكمة وقال نحن لا نتفاوض الآن على حل قضية فلسطين وأوقف النقاش في الموضوع.

وخلال الجواب على التهم قال الدفاع أن المتهم ومنظمته ينشدون السلام ويقبلون به ولكن ليس السلام الذي تريد فرضه الدولة المحتلة وفرض أطراف المفاوضات من عملائها، وأضاف أن حماس في الأساس هي منظمة سياسية ولكنها لما لم تجد الطريق مفتوحاً التجأت إلى طريق أخرى لعدم وجود طريق الحل السلمي وقد قام اتفاق بين النيابة والدفاع وبموافقة المحكمة بأن لا تتلى لائحة الاتهام كاملة وفي نفس الوقت تعطي النيابة للدفاع باقي مواد التحقيق التي لم تصل الدفاع حتى تاريخ المحكمة وبعد أن ينهي الدفاع إطلاعه على المواد ويبين موقفه منها يبلغ المحكمة بأنه مستعد للجلسة القادمة التي تأجلت لموعد غير

محدد.

وقد احتج الدفاع على تعذيب الشيخ من قبل محققي الشاباك، وطلب الدفاع معرفة ألقابهم لكي يتسنى للنيابة دعوتهم للشهادة، وتقول جريدة صوت الحق أن الشيخ صرح لأحد مراسليها يوم المحاكمة بالتالي: -

أولاً: نحن دعاة سلام بوحى مبادئ إسلامنا العظيم الداعي للمحافظة على الإنسان وحياة الإنسان، وأضاف الشيخ نحن نريد سلاماً يضمن حقوقنا في وطننا وحريتنا واستقرارنا وحياتنا فوق تراب هذا الوطن وطالما أن أعداء السلام يمنعونا من ذلك فلم يبق أمامنا إلا اللجوء لكل وسيلة في متناول أيدينا من أجل تحقيق هذا السلام.

ثانياً: إن من حقنا الفطري والطبيعي أن ندافع عن أنفسنا ضد الاحتلال وجدير بكل من يدعي جانب الحق أو تمثيل العدالة أن يصدر أوامره بانسحاب القوات المحتلة للشعب الفلسطيني وأرضه بدل أن يحاكم الذين يدافعون عن أنفسهم في وجه الاحتلال، كذلك فإنه جدير بالمحاكم التي تدعي تمثيل العدالة أن تحاكم جنود الاحتلال أولاً هؤلاء الذين يقتلون برصاصهم يومياً الطفل والشيخ والمرأة في فلسطين المحتلة وكلنا يعلم أنه قد سقط المئات من الشهداء من هذه النوعيات بالإضافة إلى الألوف الآخرين ونحن لم نقتل حتى اليوم طفلاً واحداً أو شيخاً واحداً أو امرأة واحدة.

ثالثاً: نحن نواصل النضال بالوسائل المشروعة وبوحى إسلامنا الحنيف الذي علم البشرية قوانين الحرب والسلام واحترام الإنسان والمحافظة على كرامته ونقول لمن ينكر علينا حق دفاعنا عن أنفسنا من الطرف الآخر «هل تقبلون أنتم بالعيش تحت الاحتلال؟ واسألوا شامير وبيغن إن كانت مقاومتهم للإحتلال البريطاني إرهاب أم مقاومة شرعية وهل كانوا هم يرضون بذلك؟»

رابعاً: الإسلام قد أرسى أسس العدالة وحقق الحياة العادلة والشريفة لكل الشعوب التي أوتها مظلمته بما في ذلك اليهود الذين وجدوا فيه وفي الدول الإسلامية الملجأ الدافئ منذ وجودهم ولم يحرمهم هذا الدفء والعدل في

المعاملة حتى عندما ضاقت عليهم الأرض وتعرضوا للتنكيل في الدول الأخرى ولكن اليهود هم الذين لا يقبلون بالحل العادل وشردوا الشعب الفلسطيني وأذاقوه الويلات منذ عشرات السنين فإن كنتم يا معشر اليهود تنفون ذلك فلم لا تسمحون لأفراد هذا الشعب بالعودة إلى وطنهم، هل يهود روسيا وأثيوبيا أحق من الفلسطينيين بالعودة والحياة على أرض هذا الوطن.

خامساً: لقد عانى اليهود من التشتت في العالم والويلات ولكنهم عندما سنحت لهم الفرصة لذلك ظنوا أنهم قد وجدوا حلاً لمشكلتهم على حساب الشعب الفلسطيني وأنهم وإن خلقوا مشكلة جديدة لهذا الشعب الفلسطيني وأذاقوه الويلات فإن مشكلتهم لم تحل ولن تحل إلا بعد حل مشكلة الشعب الفلسطيني وحصوله على حقوقه العادلة فوق أرض وطنهم وقد كان الأجدد بالشعب اليهودي ألا يكرر مآسي ذاقها على الشعب الفلسطيني^(٣).

وفي تعقيب له على هذه المحاكمة وبعد انتهاء جلستها الأولى قال الأستاذ فايز أبو رحمة نقيب المحامين في قطاع غزة آنذاك إن المحاكمة ذاتها عادية إلا أنها تأخذ شكلاً سياسياً واضحاً، ويلاحظ المراقبون في شأن هذه الصبغة السياسية للمحاكمة أن السلطات الإسرائيلية المعنية تحاول الآن محاكمة تنظيم حماس كله عبر زعيمه وقائده الشيخ أحمد ياسين^(٤).

ثم قام محامو الدفاع بالتشاور مع الشيخ أحمد ياسين بتجهيز الردود على بنود الاتهام في لائحة الاتهام الموجهة ضد الشيخ أحمد ياسين وقدمت لرئيس النيابة العسكرية في غزة وقد جاء في هذه الردود:

١- إن المتهم قد عمل لإقامة حركة المقاومة الإسلامية حماس وقد كان ذلك ليس فقط حقه الطبيعي والأولي وإنما واجبه الأساسي كإنسان وكمسلم وكفلسطيني حيث إنه ومنذ عشرات السنين يرنح وطنه فلسطين وقطاعات عريضة من أبناء الشعب الفلسطيني بما فيه المتهم تحت نير احتلال غاشم ودخيل.

٢- يزيد المتهم ويضيف أن حركة المقاومة الإسلامية حماس هي حركة سياسية وهدفها باديء ذي بدء ضمان حقوق الشعب الفلسطيني والشرعية بالعيش

بسلام وأمان على أرض فلسطين ومنظمتها لا زالت تفضل السلام وعدم اللجوء إلى العنف.

٣- أن الشعب الفلسطيني والمتهم نفسه قد اجتثوا من أرضهم ووطنهم بقوة العنف وبعد هدم مئات القرى وآلاف البيوت وبطريق الإرهاب والقتل الجماعي وكل يوم جديد هو عبارة عن حلقة من أعمال الاضطهاد القاسي ودوس حقهم الأساسي كبشر وفي ذات الوقت هم لا يرون لهذه السلسلة نهاية احتلال يليه احتلال واللغة الوحيدة التي خوطب بها المتهم هي لغة الحرب والقتل والاضطهاد والتشريد.

٤- يؤمن المنتمون لعقيدة الإسلام كما يؤمن المتهم والحركة إيماناً لا يرقى إليه الشك وكجزء من عقيدتهم بأن اللجوء إلى الحرب والعنف هدفه واحد ووحيد وهو القضاء على الظلم والفساد وإقامة العدل مكانه حيث إن الهدف من الاحتراب هو القضاء على الفساد والظلم ذاته وليس القضاء على بني البشر المؤيدين له، ومن يدافع عن الظلم ويحاول بالقوة والعنف أن يمنع القضاء عليه تجب محاربته والمتهم والحركة وكل المنتمين للإسلام يحاربونه، واضعين نصب أعينهم القضاء على الظلم والفساد وإقامة العدل مكانه، وحالما يصبح القضاء على الظلم محققاً لا تبقى هنالك حاجة للقضاء على المدافعين عنه وهم لم يكونوا هدفاً منذ البداية ولكنهم كانوا عقبة في طريق تحقيق الهدف وعندما توقفوا عن كونهم كذلك لم تبقى هنالك حاجة لمحاربتهم ولا يوجد هناك أي هدف من هذا القبيل.

٥- يرى المتهم وحركة المقاومة الإسلامية جميع أبناء البشر كمتساوين ويتعاملون معهم على هذا الأساس كما يأمرهم بذلك دينهم وهم لا يفرقون عند سعيهم للقضاء على الظلم والفساد ومحاربته بين المدافعين عن الظلم من حيث انتمائهم الديني أو العقائدي فمن يؤيد الباطل والفساد ويلجأ إلى العنف من أجل الدفاع عنهما والحفاظ عليهما تجب محاربته سواء كان كافراً أو منتماً إلى أي دين أو إلى الإسلام نفسه والمتهم وحركة المقاومة الإسلامية في حربهم ضد

الظلم فهم يتقيدون بالقوانين والشرائع التي وضعها الإسلام لأوقات الحرب وهذه القوانين والشرائع من أفضل القوانين والشرائع التي عرفت البشرية حتى يومنا هذا.

٦- ولأن المتهم يدرك أنه لا يمر يوم إلا ويأخذ حظه من الضحايا الجديدة من أبناء شعبه وأعمال القتل والتشريد وهدم البيوت ودوس كرامة الإنسان التي تمارس يومياً تحت مرأى العالم وسمعه وعندما ترتفع أصوات هذا العالم وأضواء قطاعات عريضة منه قائمة كفى للاحتلال، كفى لهدم البيوت، كفى للإضطهاد على جميع صوره وليوضع حد للظلم الفظيع الواقع على الشعب الفلسطيني منذ عشرات السنين، كفى للتنكر لحق هذا الشعب الأساسي والمبدئي في تقرير مصيره على أرض وطنه فإن هذه النداءات تصطدم بأذان صماء للمحتل والمحتلين وهنا في هذا الحال كيف لا يفهم المتهم وأبناء حركة المقاومة الإسلامية أنهم يقفون أمام محتل دخيل غاشم لا يعترف حتى بمجرد وجودهم ولا يفهم إلا لغة العنف والقوة والبنوقية هي الوسيلة الوحيدة التي يخاطبهم بها.

٧- إزاء هذا الوضع اختار المتهم وحركة المقاومة الإسلامية اللجوء إلى حقهم الأساسي والطبيعي في الدفاع عن النفس واختاروا ببساطة كشعب ممثل يعيش على أرض وطنه اللجوء إلى ما هو في متناول أيديهم ومن وسائل المقاومة لهذا المحتل بما فيها الإخلال بالنظام على مختلف صوره معلنين للعالم أجمع سواء كان ذلك عن طريق المظاهرات أو الاضرابات أو قذف الحجارة أو توزيع المناشير أنه قد ضاقت أنفسهم بالمحتل والمحتلين وأنه قد آن الأوان لوضع حد لهذا الحال ولخلع نير الاحتلال والاضطهاد عن رقابهم.

٨- عندما لجأ المتهم وحركته إلى استعمال السلاح فإنهم قد وجهوه إلى الجيش والجنود المحتلين الذين يدافعون عن الاحتلال ويحاولون بقوة السلاح منع القضاء عليه، من هنا فهم لم يقتلوا ولو طفلاً واحداً أو شيخاً واحداً أو امرأة واحدة، وفي ذات الوقت يرى المتهم وحركة المقاومة الإسلامية لا بل يرى العالم أجمع كيف أنه ومنذ عشرات السنين وفي السنوات الثلاث الأخيرة بشكل خاص سنوات

الانتفاضة يقوم جيش كامل منظم ومدرّب جيش دولة تدعي الديمقراطية بقتل أعداد غير محدودة من الشيوخ والنساء والأطفال.

٩- لقد أصبح المتهم وحركته ممنوعين من العيش على أرضهم وفي وطنهم مثلهم مثل باقي أبناء الشعب الفلسطيني والمحتل الدخيل الغاشم يريد هذا الوطن بكامله لنفسه ولنفسه فقط، فهو يريد أرض فلسطين نظيفة وخالية من أصحابها وسكانها وأبنائها وأبناء الشعب الفلسطيني الذين رووا تراب هذه الأرض بدمهم وأخصبوه منذ مئات وآلاف السنين وهذه ليست سياسته المعلنة فقط وإنما هذه هي أعماله في الواقع والأهداف التي يسعى إليها بكد ومثابرة، فما معنى أن يكون يهود الفلاشا وروسيا والبلاد الأخرى أصحاب حقوق عادلة تفضل وتفوق حقوق أبناء الشعب الفلسطيني أبناء هذا الوطن وسكانه في العيش على أرض فلسطين بسلام وأمان ليس هذا إلا أن احتلال أرض فلسطين واقتلاعهم منها وتشريدهم وهدم بيوتهم وقراهم هي هدفه المعلن والوحيد وثمره كد المحتل الصهيوني على مدى عشرات السنين الأخيرة فهو يعمل على جمع شتات اليهود من كل أرجاء المعمورة ويدعوا ذلك إحياء شعب إسرائيل في وطنه ويعمل في الوقت ذاته على تشريد الفلسطينيين في كل أرجاء المعمورة ويدعوا ذلك تحرير الوطن وإنقاذه.

أمام هذا الموقف العنصري الظالم الذي يجسده الاحتلال كما ذكر أعلاه فإن المتهم وحركة المقاومة الإسلامية يقفون متحدين ويعلنون أمام العالم أجمع قائلين تعالوا نعيش في هذا الوطن وعلى أرض فلسطين بكاملها يعيش كل سكانها مسلمين ونصارى ويهود يعيشون بمساواة كاملة تحت مظلة السماء ودستورها، هذا الدستور الإلهي الذي ضمن المساواة في الحقوق والحياة العادلة لكل من انضوى تحت لوائه حتى الحيوانات لشعور الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب بواجبه لتسوية الطريق لها ويخشى العقاب إن لم يفعل ذلك - كما وثبت بالتجربة العملية على طول مئات السنين حيث عاش المسلمون والناصري واليهود بعدل وأمان ومساواة تحت هذه المظلة ناعمين بالأمن والأمان - عندها لا يكون هناك

ظالم ومظلوم ولا مضطهد أو مضطهدون بل تكون السيادة لله ولنظامه العادل الحكيم.

١٠- يضيف المتهم بأنه رغم حالته الصحية وكونه مشلولاً معاقاً في كل أعضاء جسده سوى عقله وعينيه وبقية من قوة في أصابع يده اليمنى تمكنه بصعوبة من الإمساك بالقلم، وحيث أنه يعاني أيضاً من ضيق النفس والآلام في رتيه وأذنيه وأزمة صدرية وحساسية زائدة في رأسه ووجهه ومعظم أجزاء بدنه بما فيها الصعوبة البالغة في الهضم والأمساك الزائد والبواسير ورغم كل ذلك كان معروفاً جيداً للسلطات وكل المسؤولين فإنهم لم يتورعوا وفي اليوم الأول لاعتقال بتاريخ ١٨/٥/١٩٨٩م وعندما أنكر تهماً وجهت إليه بدأ المحققون بلطمه على وجهه ووجنتيه وقرصه في بطنه ولي عروق الدم في رقبتة مما أدى إلى فقدانه الوعي وشل كل حركته وبقاء البقع الزرقاء على جلده وبدنه، كذلك فإنه وعلى طيلة أربعة أيام كاملة لم يسمح له بالنوم أو الاستراحة مطلقاً الأمر الذي أدى مراراً إلى سقوطه عن الكرسي مغمى عليه وفاقداً لأدنى درجة من التركيز أو التحكم في حواسه وبدنه حتى تورمت قدماه وكل جسده وأصبحت حالته في غاية الخطورة وعندها وإثر رؤية طبيب السجن له أمر هذا الأخير بتوفير النوم والراحة له ونقل أيضاً إلى مستشفى سجن الرملة للعلاج والاستراحة، كل هذا بعد أن أخذت منه إفادات بدون أي تحذير أو إيقافه على حقه بحرية الكلام أو الامتناع عنه رغم ما كتب هناك من أنه قد جرى تحذير وتخيير وقد أجبر على التوقيع على أقوال كانت معظمها معروفة سلفاً للمحققين وما طلب من المتهم هو المصادقة على ما جاء فيها فقط والإقرار بصحتها، وهو بالفعل قام بذلك بل أجبر على القيام بذلك وصادق على صحة أمور كان منها الصحيح وكان منها البعيد عن الصحة.

ثم تأتي الوثيقة التي قدمها موكلوا الدفاع من المحامين باسم الشيخ أحمد ياسين إلى رئاسة نيابة قطاع غزة إلى الرد على التهم بشكل أكثر دقة وتفصيلاً:
الرد على التهمة الأولى:

أ - العضوية في منظمة غير مشروعة المسماة «مجد» وذلك منذ ١٩٨٧م.
الرد: لم يكن هناك تنظيم بمعنى الكلمة كما يظهر من الاتهام ولكنه تسمية داخلية لبعض الفاعلين المحدودي العدد إذ إثنان في الأساس هما اللذين سميا أنفسهما بهذا الاسم، والمتهم لم يكن عضواً في هذا التنظيم ويضيف المتهم بأنه إذا ثبت وجود مثل هذا التنظيم فإن التنظيم المذكور لم يكن منظمة غير مشروعة، والمتهم غير مسؤول عن أعمال منظمة «مجد» ولم يكن له بها أي ضلع مباشر حتى لو افترضنا أنه قد علم بأشياء بعد حدوثها.

ب - العضوية في تنظيم المجاهدين الفلسطينيين الذي يهدف إلى التزود بالسلح والتدرب عليه من أجل القيام بأعمال الضرر والحرب ضد السلطة الإسرائيلية وجيشها وأيضاً تنفيذ مثل تلك العمليات في الواقع كما جاء في لائحة الاتهام.

الرد: يقول المتهم مرة ثانية بأنه لم يكن هناك تنظيم منفرد أو تنظيم غير مشروع وعلى كل حال فالمتهم لم يكن عضواً في هذا التنظيم وإن كان قد سمع أحياناً عن عمليات وعاملين تعود حسب زعم لائحة الاتهام لأعضاء في ذلك التنظيم ليس هذا فقط ولكن ما قيل من أن هذا التنظيم أقيم سنة ١٩٨٢م هو عار عن الصحة علماً بأن المتهم كان قد حوكم مع آخرين على فعالياته في تلك الفترة ولا يجوز الرجوع واتهامه بذات التهم من جديد.

ج - تهمة تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس.

الرد: نعم لقد أسس المتهم حركة المقاومة الإسلامية حماس وكان عضواً فيها وهذا هو ليس حقه الطبيعي فقط بل واجبه وواجب كل من يقع تحت الاحتلال وهو لم يقترب بذلك أي ذنب ولم يرتكب أية مخالفة وهو يعود على طعنه في صلاحية هذه المحكمة لمحاكمته وهي غير مؤهلة لذلك إذ أنها ذراع لجيش محتل وحيث إن الاحتلال كله ومن أساسه هو إجراء غير شرعي وغير قانوني.

ويضيف الشيخ أحمد ياسين فإنه لو افترضنا وجود مثل تلك الصلاحية القانونية الشكلية كما جاء في قرار هذه الهيئة الموقرة في قرارها السابق بتاريخ

١٩٩٠/١/٣م فإنها مع ذلك تبقى فاقدة لأي حق أدبي أو خلقي لمحاكمته وهذا لسببين:-

أ - لقد قام المتهم وحركته بواجبهم المبدئي والأساسي العادل وهم لم يرتكبوا بذلك أية جريمة أو مخالفة قانونية، ولا يملك الجيش المحتل الظالم الذي يقف أمامهم أي حق خلقي في أن يجعل من نفسه قاض يحاكمهم.

ب - لقد قام المتهم وحركته بممارسة حقهم الطبيعي والبيديهي الذي لا يتعارض مع أي قانون أو قياس خلقي، ذلك هو حق الدفاع عن النفس حيث إنهم يقفون كمواطنين عزل أمام جيش محتل غاشم لم يكلمهم ولم يكلم شعبهم منذ عشرات السنين إلا من فوهة البندقية، هذا الجيش الذي قتل من أبناء الشعب الفلسطيني من لا يعلم عددهم إلا الله، هدم بيوتهم وعاث خراباً في وطنهم كله، كل هذا دون أن يرى لسلسلة أعمال الاضطهاد والتعذيب التي يمارسها ضدهم وضد أبناء شعبهم أية نهاية.

× فيما يخص أهداف حركة حماس يقول الشيخ أحمد ياسين في وثيقة الرد:-
أ - إن تحرير أرض فلسطين وإعادتها إلى حضن الإسلام عن طريق الجهاد ضد اليهود الصهيونيين هو هدف الحركة وحقها الطبيعي الذي لا اعتراض عليه، لا بل حقه وحق الشعب الفلسطيني كله أن يقاوموا الاحتلال وأن يعملوا على استعادة حقوق الشعب وأرضه وضمان حقه بالعيش في سلام واطمئنان على أرض وطنه فلسطين ومع ذلك فهم يفضلون العيش في سلام والسير في طريق السلام وحقن الدماء كما يليق بالشعوب المتحضرة وهو يعارض سفك دماء البشر ويحرص على وضع حد لذلك حيث سفك دم الشعب الفلسطيني وما زال منذ عشرات السنين ولكن كل من لم يفقد البصر يعلم أن الدولة المحتلة ليست فقط لا تريد ذلك لا بل تركز كل قوتها وطاقتها وتأثيرها وكل مواردها من أجل منع إمكانية من هذا القبيل.

ب - إن الجهاد ومقاومة العدو الصهيوني هو واجب ديني ملقى على عاتق كل مسلم ولا حاجة لإقحام ذلك في لائحة الاتهام لأنه ليس هدفاً في حد ذاته وإنما

الهدف هو رفع الظلم والفساد المتمثل في الاحتلال.

ج - معارضة كل مبادرة سلام تتضمن التنازل عن قسم ما من أراضي فلسطين واتخاذ السبيل الوحيد الذي لا ثاني له الجهاد لاستعادة الأراضي.

الرد: كما سبق وذكر أعلاه فإن المتهم وحركته لا يعارضون معارضة كاملة كل مبادرة سلام من حيث هي وإنما العكس هو الصحيح، ولكن الأمر اليقين كما ذكر أعلاه هو أن المحتل ودولته هم الذين يضعون كل ثقلهم في مقاومة كل إمكانية كانت لاستتباب السلام على أرض فلسطين، سلام يتمتع به كل سكانها.

د - حركة المقاومة الإسلامية هي بمثابة جيش في خدمة كل دولة أو منظمة تتبنى الإسلام كطريق حياة لها.

الرد: ما هي صلة هذا النص الجميل الذي قد يكون صحيحاً وقد لا يكون كذلك حسب الظروف الموضوعية وفهم النصوص الشرعية وتفسيرها بلائحة الاتهام.

أجنحة العمل التابعة لحركة حماس

تتابع وثيقة الردود التي قدمها الدفع ردها كالتالي:

أ - حقاً إنه كان للحركة وما زال جناح أمني عمل ويعمل حتى الآن على جمع المعلومات الاستخبارية عن كل ما يدور في الانتفاضة وعن المتعاملين مع السلطات المحتلة وعلى تنسيق ونقل هذه المعلومات بين أجنحة حماس في المناطق المختلفة طباعة ونشر منشورات حماس وكتابة الشعارات المعادية للاحتلال، وهذا ليس طبيعياً وشرعياً فقط وإنما في ذات الوقت لا يكون موضوعاً لأي اتهام جنائي أو جزائي.

ب - الجناح العامل بأمور الانتفاضة

حقاً إن حركة حماس قد عملت وأشغلت مؤيديها بأعمال الانتفاضة الممثلة بالنظام العام مثل إقامة الحواجز، قذف الحجارة، كتابة الشعارات المعادية للاحتلال والمحتلين، ومنع العمال من الخروج إلى العمل حسب الحاجة، ويضاف بأنه لم تكن هنالك تقريباً أية حاجة في المنع لأن العمال استجابوا للإضرابات

برغبة كاملة وعن طيب خاطر.

ج - الجناح العسكري: وهو ما يكون استمرار لتنظيم المجاهدين الفلسطينيين الذي عمل كذراع منفرد وهدفه تدريب أعضائه على السلاح وتحضير وسائل الحرب المبتكرة وتنفيذ العمليات ضد قوات الأمن.

الرد: تنظيم المجاهدين الفلسطينيين أقيم قبل حماس وهو ليس جزء منها أو ذراع لها وكذلك بعد إقامة حماس فقد استمر تنظيم المجاهدين الفلسطينيين بالعمل باستقلالية تامة وهو لم يكن أبداً جزءاً من حماس أو جناحاً عكسرياً لها، ثم أضافت وثيقة الرد المقدمة من الشيخ ردوداً على الاتهامات التي وجهتها النيابة العسكرية بقطاع غزة.

ولا زالت محاكمة الشيخ أحمد ياسين في هذه القضية لم تنته بعد وقد عقدت بعد هذه الجلسة جلسة واحدة فقط وقد أجلت المحكمة مرة أخرى ويبدو أن إعلان حركة المقاومة الإسلامية حماس عن يوم محاكمة الشيخ أحمد ياسين إضراب شامل في القطاع والضفة الغربية قد عقد الأمور أمام سلطات الاحتلال إذ أن هذه السلطات تحاول بقدر الإمكان تهدئة الأمور وتطبيعها وإخماد نيران الانتفاضة في الضفة والقطاع وربما محاكمة الشيخ أحمد وهو في حالته الصحية الصعبة يثير الكثير من الحساسية لدى المجتمع الفلسطيني عامة إذ تولد لدى جمهور المجتمع الفلسطيني أن السلطات في محاكمتها لأحمد ياسين يظهرون قسوة ما بعدها قسوة خاصة وأن أحمد ياسين سجين صحته فهو لا يستطيع الحراك مطلقاً وعملية الشرب أو الأكل يحتاج فيها إلى مساعدين يقومون بالعملية كاملة، ويدرك الجميع أن سجن الشيخ أحمد ياسين هو سجن ليس لعقله فقط وإنما لمشاعره وطموحاته.

قضايا ومواقف

لقد طرحت الكثير من القضايا ومرت الأحداث متتالية وبالذات منذ عام ١٩٨٢م وقد زاد زخم هذه الأحداث بعد تفجر الانتفاضة الفلسطينية المباركة، وقد

كان لتفجر الانتفاضة وبروز دور الإسلاميين فيها أثر كبير على تسليط الأضواء على شخصية الشيخ أحمد ياسين وتبارى الصحفيون ورجال الإعلام المتلفز على استطلاع رأيه لأنهم رأوا فيه الأب الروحي للحركة الإسلامية في الأراضي المحتلة وأن رأيه يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار لأنه لا يشكل رأي فردي أو شخصي ولكنه يشكل رأي مجتمع كامل عماده الحركة الإسلامية وأنصارها سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة أو حتى داخل الخط الأخضر لأن مواقف الإسلاميين وإن تباعدت بهم المسافات فإن القرآن والسنة هما الحدود التي يتحرك فيها هذا الرأي ولما كان الأستاذ أحمد ياسين أكثر الشخصيات قدرة على فهم الحدث السياسي من خلال قواعد اللعبة السياسية التي عايشها منذ عام ١٩٦٨م فقد كان رأيه دائماً هو المرجع الأساسي لكل الاتجاهات الإسلامية في المناطق المحتلة جميعها وإن شذ البعض منها فإن هذا الشذوذ لا يكون بعيداً ولكنه يسير كدرب السائر على قدميه موازاة لخط السيارات الأسفلتي أو كالعرف بموازاة القانون. ولقد كانت مواقف الشيخ وآرائه السياسية بمثابة مرجع للحركة الإسلامية لأن الكثير من هذه المواقف والآراء كانت قد درست وتم الاتفاق فيها مع أهل الرأي والمشورة في الحركة ولكن لما كان الشيخ أقدرهم وأكثرهم خبرة في التعامل مع وسائل الإعلام فقد ترك للشيخ الحرية في التعبير عن هذه المواقف. وسنحاول بقدر الإمكان تلخيص مواقف الشيخ أحمد ياسين أو بالأحرى مواقف الحركة الإسلامية التي عبر عنها الشيخ في أوقات متفاوتة وبالذات بعد انطلاقة الانتفاضة لأنها هي التي ركزت الأنظار حول الكثير من المشاكل التي كادت أن تطوى في ذاكرة النسيان، هذه المواقف والآراء هي محصلة الاستطلاع تصريحاته التي أطلقها عبر مراحل زمنية مختلفة ولأجهزة إعلام متعددة.

ما هي حماس بالنسبة لأحمد ياسين؟

حماس حقيقة واقعة وهي موجودة ولن يجدي تناسيها أو تجاهلها في ثنيها عن مواقفها، لقد عرفها شعبها عن قرب فهي منه وله ولن يستطيع أحد جرّها إلى

متهات ومزالق الحل السلمي وحماس بدورها ومواقفها يدافع عنها الشرفاء والمخلصون وبتقريبها من شعبها وتفاعلها مع مآسيه وآلامه تفرض نفسها على أقلام المغرضين وأفواه الحاقدين^(٥).

هناك فرق بين من يعملون من أجل المال ومن يعملون من أجل المبادئ والايان، فعندما يتوقف هؤلاء الذين يدفع لهم أجر عن تلقي الأموال سيتوقفون عن العمل من أجل جماعة معينة أما هؤلاء الذين تحركهم قلوبهم ومعتقداتهم فسيواصلون العمل^(٦).

منظمة التحرير الفلسطينية

حول منظمة التحرير الفلسطينية جاء في ميثاق حركة حماس أنها الأب والأخ والصديق وأن حركة حماس هي امتداد لها ومكمل وليس بديل وقد صرح الشيخ أحمد ياسين لجريدة النهار في ١١/٩/١٩٨٨م أن التوجهات الإسلامية تعترف بمنظمة التحرير بتحفظ وأن هناك خلافاً حول الدولة يتمثل في أن الحركة الإسلامية تريد دولة إسلامية بينما تريد المنظمة دولة علمانية.

وأضافت الصحيفة «وقال ياسين في حديث أدلى به لمراسل وكالة فرانس برس في غزة: أنا أعتقد أن منظمة التحرير تمثل الشعب الفلسطيني لكنني أتحفظ على خطها الذي يدعو إلى إقامة دولة علمانية والعلمانية تعني لا دينية وأنا كمسلم وهم كمسلمين يجب أن يلتزموا بالإسلام ويجب أن يكون دين الدولة المزمع إقامتها في أي بقعة من أرض فلسطين الإسلام، لأن هناك تناقضاً كوني مسلماً وبين عدم تطبيقي للإسلام^(٧).

وعندما سئل الشيخ أحمد ياسين عن مضمون الخلاف بين الاتجاهات الإسلامية ومنظمة التحرير فأجاب: نحن لا نختلف مع منظمة التحرير، لنا فكر وللمنظمة فكر والحاكم الوحيد هو الشعب وما يقره الشعب هو المقبول لدينا. وقال: إن كل ما يقال حول الخلافات هو تحريف يقصد به إثارة الخلاف والشقاق بين الإسلاميين والمنظمة.

وحول الادعاءات القائلة أن الحركة الإسلامية تود طرح نفسها كبديل للمنظمة قال: الحقيقة لم يكن هناك طرح كهذا وترويج شائعات كهذه يقصد بها تفتيت الشعب الفلسطيني، وأضاف يقول في لقاء مجلة البشير التي تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية أنه لا يوجد تناقض بين الحركة الإسلامية وبين منظمة التحرير فالكل يسعى لهدف واحد والهدف هو طرد المحتل وعندما يحدث هناك توافق في المواقف يعلن عنها وعندما لا تعلن لا يعني أن هناك تناقضات^(٨).

إلا أن الشيخ ينتقد الأسلوب الذي يتخذ به القرار في منظمة التحرير إذ أن الكثير من القرارات يراها لا تمثل رأي الناس والمجتمع الفلسطيني فلقد جاء في جريدة النهار في يوم ١١/٩/١٩٨٨م «إن من حق الشعب الفلسطيني على منظمة التحرير أن يؤخذ رأيه على كافة توجهاتها».

الانتفاضة

في لقاء مع صحيفة إلى فلسطين العدد ٣٠ الصادر ٢٥ مارس ١٩٨٨م في الولايات المتحدة أجاب الشيخ أحمد ياسين عن عدة أسئلة حول الانتفاضة.

فعن أسباب الانتفاضة قال الشيخ أحمد ياسين: إن أسبابها هو الاحتلال وممارسته التي خلفت المعاناة عند الناس في شتى نواحي الحياة وذكر أن الانتفاضة مستمرة حتى تنتهي الأسباب التي أدت إلى تفجيرها، إذ أنها حصلت نتيجة لظروف الاحتلال وقال: أنها تعمقت في ضمير الشعب الفلسطيني برغم الجراح والتناقضات حتى يزول المؤثر.

وقال الشيخ أحمد ياسين أن الانتفاضة لم تأت عفواً ولكنها جاءت بقدر الله وليس هناك شيء في الإسلام اسمه عفوي^(٩).

ويؤكد الشيخ أن العنصر الإسلامي هو الذي كان وراء الانتفاضة وهو العنصر الفعال فيها ويقول: إن هناك أدلة تؤكد ذلك منها: -

- ١ - تصريحات القيادة اليهودية التي أجمعت كلها على هذا القول.
- ٢ - الهتافات والشعارات الإسلامية التي كانت تدوي في المظاهرات.

٣- دور المساجد حيث كانت المظاهرات تنطلق من المساجد.

٤- هوية الشهداء والجرحى والمعتقلين حيث تؤكد غالبيتها الساحقة على انتمائهم الإسلامي.

أما لماذا تأخرت الانتفاضة وجاء بعد أكثر من عشرين عاماً على الاحتلال فقد عزا الشيخ أحمد ذلك إلى:-

أ- زيادة الروح الإسلامية وتنامي العقيدة في المجتمع الفلسطيني المسلم.

ب- زيادة الظلم اليهودي والممارسات التي تجاوزت الحد في شتى نواحي الحياة^(١٠).

أما ما يريد الشيخ من الانتفاضة أن يحققه:-

أ- انسحاب إسرائيلي كامل من الأراضي المحتلة.

ب- وضع هذه المناطق تحت إشراف الأمم المتحدة^(١١).

ج- إعطاء الفرصة لأبناء الشعب الفلسطيني لاختيار المسؤولين عنهم.

وحول من يقود الانتفاضة ذكر الشيخ لصحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية أنهم الشباب والبنات وحتى الأولاد وذكر أنه لا يستطيع الإشارة إلى أشخاص بعينهم ولكنه نبه إلى أن جميع المظاهرات الكبيرة خرجت من المساجد وكان المتظاهرون يصيحون «الله أكبر والعزة للإسلام»^(١٢).

المؤتمر الدولي

للشيخ أحمد ياسين رؤية خاصة حول المؤتمر رغم إصرار المنظمة والدول العربية على عقده اعتقاداً منها أنه سيحقق للقضية الفلسطينية ما لم يتحقق حتى الآن ولكن ما هو المؤتمر الدولي بالنسبة للشيخ أحمد ياسين؟

لقد وصف الشيخ أحمد ياسين المؤتمر الدولي بأنه «سراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً»^(١٣) وهي آية من آيات القرآن الكريم.

وفي حوار أجرته صحيفة النهار المقدسية في ٣٠/٤/١٩٨٩م قال الشيخ «الشعب الفلسطيني لن يحقق أمانه وأهدافه من انعقاد مثل هذا المؤتمر

وسيكون كالمثل القائل (كالايتام على موائد اللئام).
وفي اللقاء السابق مع مجلة البشير ذكر الشيخ أن إسرائيل سوف لا تعطي شيئاً للفلسطينيين.

الدولة الفلسطينية

في حوار مع جريدة النهار المقدسية العدد ٧٩٧ بتاريخ ١٩٨٩/٤/٣٠م ذكر الشيخ أحمد ياسين أنه يريد دولة فلسطينية حدودها هي حدود فلسطين المعروفة وإلى ذلك فإنه يؤيد أن تقوم على أي شبر من فلسطين يتم تحريره لكن دون التنازل عن باقي حقوق الشعب الفلسطيني في أرضه وحول موقف المنظمة المطالبة بدولة فلسطينية ذكر الشيخ أنه يؤيد جهود المنظمة ويعارضها يؤيدها لأنها تريد الحصول على دولة ويعارضها في التنازل عن بقية الأرض ونقلت جريدة الرأي العام الكويتية في عددها الصادر يوم ١٩٨٨/٩/١٧م قول الشيخ أنه لا مكان لدولتين في فلسطين وقال: إن الحل هو إقامة دولة فلسطينية إسلامية على كامل التراب الفلسطيني يعيش فيها العرب واليهود والمسيحيون تحت قيادة المسلمين.

ويرى أنه لو قامت دولتان في فلسطين إسلامية ويهودية فإن هذا الوضع سيكون مؤقتاً إذ يرى أنه بعد فترة من الزمن سوف يستأنف الصراع بصورة أشد وأن الحل الوحيد هو العيش معاً في دولة واحدة وهو يفضل أن يهيمن الإسلام على هذه الدولة^(١٤)، وذكر لجريدة النهار اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/٩/١١م أنه يريد دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب والسلطة فيها لمن يفوز في الانتخابات وذلك لاتاحة الفرصة للشعب للإختيار بين الأفكار والسياسات المطروحة.

الكونفدرالية مع الأردن

حول هذا الموضوع تحدث الشيخ في ثلاث مناسبات وكانت تسير كلها في اتجاه واحد وهو تأييد هذه الفكرة ولكن بشروط فقد تحدث لصحيفة الطليعة في ١٩٨٩/١/٢٦م قائلاً: إن الإسلام يدعو إلى الوحدة والتعاون والأخوة ولكن (وهذا هو الشرط) على أساس الحب والمساواة والأخوة لا الإكراه وذكر لصحيفة النهار في

١٩٨٩/١/٣١م «أن الإسلام يدعو دائماً للوحدة، والوحدة أساس النجاح في الحياة وهذا أمر جيد ولكن عندما تكون الوحدة مبنية على أساس من التساوي والند للند على أساس الحرية المطلقة للإنسان تكون وحدة سليمة وناجحة وقوية وإذا ما جاء لظروف غير طبيعية فهي فاشلة ثم في حوار بعدها بثلاثة أشهر تقريباً مع نفس الصحيفة (النهار) أجاب عندما سئل عن موقفه من الاتحاد الكونفدرالي مع الأردن قال «ولم لا شريطة المساواة بيننا وبينهم»^(١٥).

حول الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة ٢٤٢، ٣٣٨

يعتقد الشيخ أن الاعتراف بقراري الأمم المتحدة المذكورين هما اعتراف صريح بإسرائيل ويقول أن مجرد الاعتراف بهما هو تسليم بمزاعم إسرائيل في فلسطين والتنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني فيها^(١٦) ويقول في لقاء مع مجلة البشير السابقة الذكر «إن الأخوة في منظمة التحرير أعطوا أكثر مما أخذوا فهم أعطوا الكثير وفي المقابل لم يأخذوا أي شيء وفي الجانب الإسرائيلي تقريباً هو جانب يعتز بقوته وهو لا يريد أن يعطي، بل يريد باستمرار تنازلات وكلما حصل على تنازل يضغط للحصول على تنازلات أخرى ومن ثم تبقى القضية عائمة كلها وهم يحاولون أن يروا النفسية الفلسطينية كل يوم إلى أين وصلت في التنازل والتراجعات وطبعاً عن طريق سياسة الدول الكبرى الغربية والشرقية التي هي تضغط وتحاول التأثير على الفلسطينيين الذين يعيشون طبعاً التشرّد في الخارج ويعانون من أوضاع نفسية معينة ومن أوضاع مقهورة بدون أرض ووطن وبدون ملجأ يعيشون فيه».

وأكد أن هذا يعني تنازلاً كبيراً وقال «أن المنظمة تقبل الآن ما اعتادت أن ترفضه» ثم أضاف أنه لا يعتقد أن الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال سيقبلون تنازلات المنظمة لإسرائيل حتى لو كانت تحركات تكتيكية قصيرة الأجل»^(١٧). وفي لهجة ساخطة قال «إن منظمة التحرير في موقف ضعيف، وستقدم المنظمة المزيد والمزيد من التنازلات أما إسرائيل تحت حكم رئيس الوزراء

إسحاق شامير فلن تقدم شيئاً كما أن الفلسطينيين لن يكسبوا شيئاً»^(١٨).

حكومة المنفى

يعتقد الشيخ أحمد ياسين أن إقامة حكومة في المنفى قبل أن يحرر الشعب الفلسطيني أي جزء من أرضه لإقامتها عليه هو خطوة سابقة لأوانها^(١٩) وقال «إن على إسرائيل أن تعيد الحقوق المسلوبة» ذكر في لقاء مع صحيفة ידיعوت أحرونوت الذي نقلته مجلة البيارد السياسي يوم ١٦/٩/١٩٨٨م «أنه لا جدوى من اتخاذ خطوات كهذه ما لم نحرر أي جزء من فلسطين».

الانتخابات السياسية في ظل الاحتلال

يعارض الشيخ أحمد ياسين إجراء انتخابات في ظل الاحتلال^(٢٠) إذ أنه يرى أن عملية الانتخابات في ظل هذا الوضع هي عملية غير صحيحة وغير سليمة^(٢١) وذلك لأن الخصم هو الحكم^(٢٢) وفي رأي الشيخ أنه يمكن إجراء الانتخابات في حالتين:

الأولى: انسحاب القوات الإسرائيلية انسحاباً كاملاً.

ثانياً: أن تجري الانتخابات في ظل إشراف دولي كامل.

الحكام العرب

يرى الشيخ أحمد ياسين أنه بعد حرب ١٩٦٧م أخذ الشعب الفلسطيني يقطع آماله التي علقها على الحكام العرب حيث وجد أنها سراباً وبدأ يتجه إلى الإسلام باعتباره الحل والوسيلة، لذا فهو لا يعلق الآن آمالاً على هؤلاء الحكام أن يصنعوا له شيئاً.

ويعتقد الشيخ أن على الشعب الفلسطيني أن يأخذ مبادرته بيده بعيداً عنهم^(٢٣).

الحوار الفلسطيني الأمريكي

ذكر الشيخ رأيه في الحوار لمراسل صحيفة النهار في ٣٠/٤/١٩٨٩م قائلاً «أنا أرى أن الحوار الفلسطيني الأمريكي هو وسيلة أخرى لتخفيف الضغط عن إسرائيل

واللحصول على أكبر مكاسب لها».

الشيخ في سجنه الحالي

السجن وحياة السجن هو جزء من حياة الشيخ أحمد ياسين منذ فترة ليست بالقصيرة إذ أن عدم قدرته على الحركة نتيجة للشلل جعل حركته صعبة، ولم يكن الشلل الذي أصابه هو الوحيد الذي حجم حركته ولكن المرض الذي جعل من وطأة الشلل وقعاً عليه جعل خروجه من البيت في كثير من الأحيان أمر متعذر وقد قال العرب قديماً في أبي العلاء المعري أنه رهين المحبسين أي العجز والعمى، ويقينا أن حالة أبي العلاء المعري الصحية على الرغم من عجزه كانت أفضل بكثير من حياة الشيخ أحمد.

وما زاد الطين بله هو أن سجنه الحالي قد زاد بصورة غير طبيعية من الآلام التي يعانيها الشيخ لدرجة أصبح لا يطيق هذه الآلام إذ أن السجن هو معاناة حقيقية للأصحاء فكيف بالمريض المشلول الذي لا يستطيع أن يطعم أو يسقي نفسه شربة ماء.

لقد أدركت سلطات الاحتلال أن إبقاء الشيخ في بيته الخارج ربما لن يغير شيئاً كثيراً من وضع السجن ولكنها قررت اعتقاله وهي بقرارها هذا اعتقلت في الشيخ عقله، فلقد كان بالإمكان أن تقيم عليه حبساً إجبارياً في بيته كما فعلت بغيره من أقطاب القيادة الموحدة من أمثال الدكتور سري نسيبه الذي فرضت عليه إقامة جبرية بتهمة تعاونه مع المخابرات العراقية ونقله أخبار عن دقة إصابة الصواريخ العراقية والأستاذ فيصل الحسيني الذي وجهت له تهمة قيادة الانتفاضة.

ولكنها مع الشيخ أحمد ياسين كانت أقسى من الجميع إذ على الرغم من أن أبناء قطاع غزة كلهم في أوضاعنا الراهنة مساجين حقيقيون إذ لا يسمح لغير العمال بدخول إسرائيل وهؤلاء لا يزيدون بأي حال عن ٢٥ ألف عامل وباقي أبناء القطاع الذين يزيدون عن ٧٥٠ ألف نسمة يتحركون في مساحة لا تزيد عن ٣٦٠

كيلو متر مربع هي مساحة القطاع من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب بما فيها المستعمرات الإسرائيلية التي اقتطعت نسبة لا بأس بها من أراضي القطاع وحرمت سكانه من الحركة فيها.

إن أحداً من أبناء القطاع لا يستطيع حتى أن يزور مدينة القدس في هذه الأيام ليؤدي ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من شد الرحال إليها عندما قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

لقد خافت السلطات الإسرائيلية في الشيخ عقله، لذلك أرادت حبس ذلك العقل وتحجيم قدرته على الانطلاق والعطاء والمساهمة في نشاطات الحركة الإسلامية وتفعيلها لأنه في نظرها صاحب خبرة جهادية طويلة وبقاءه في الخارج خطر قاتل على أجهزة الأمن.

ثم أرادت السلطات من اعتقال الشيخ أحمد الضغط على مشاعره من خلال إبعاده عن أهله وجعل خدمته مقصورة على الغرباء عنه علماً بأن الإنسان الذي يحتاج إلى أخذه إلى المرحاض ومساعدته في ذلك ثم تنظيفه يشعر دائماً بالحرج ولا يستطيع أن يتواءم إلا مع أهله فقط.

لذا فإنه يمكن القول أنه إذا حكمنا على وضع السجناء في العالم فسنجد أن وضع الشيخ أحمد ياسين من أسوأ هذه الأوضاع وأكثرها حاجة إلى التعاطف معه ويستغرب الإنسان عندما يجد منظمات حقوق الإنسان ومنظمات العفو الدولية تدافع عن حقوق مانديلا وغيره من المساجين السياسيين في مختلف بلدان ودول العالم وتغض الطرف في نفس الوقت عن حالة الشيخ أحمد ياسين الظاهرة العجز والتي تحتاج فعلاً إلى تعاطف دولي للضغط على إسرائيل لإطلاق سراحه والنظر إلى قضيته نظرة إنسانية.

الوضع الصحي الحالي للشيخ في السجن

يعاني الشيخ أحمد ياسين من شلل رباعي كلي في الساقين والذراعين

وعضلات الصدر والبطن وبالتالي لا يتحرك في الشيخ أحمد إلا رأسه أما باقي جسمه فيقول الدكتور عبد العزيز الرنتيسي^(٢٤) أن حركته بطيئة لا فائدة منها فهو لا يستطيع أن يحك جلده أو يمسح أنفه وهو لا يستطيع أن يشرب كوباً من الماء أو حتى تناول الطعام بيده.

ويضيف الدكتور عبد العزيز الذي قضى مع الشيخ فترة طويلة من سجنه يعتني به ويرعاه وكان ملازماً له طيلة الوقت، إن الشيخ لا يستطيع أن يقوم بأي عمل يخدم به نفسه على الإطلاق فهو بحاجة إلى مساعدة في كل أمره فإذا نام على جنبه طلب بعد ساعة أن يقلب على جنبه الآخر فهو لا يستطيع أن يقلب نفسه.

ويصف الدكتور عبد العزيز حالة الشيخ من موقعه كطبيب إن شلل عضلات الصدر أدى إلى انتفاخ الرئتين (انفزيما) ثم أدى إلى تهتك في الأغشية المبطنية للشعب الهوائية وإلى التهاب مزمن فيها (برونكي اكتسز) وهذا يؤدي إلى وجود إفرازات مستمرة من الشعب الهوائية مما يثير سعال حاد تطور لكي يكون سعالاً مزماً فهو يسعل في اليوم واللييلة أربعاً وعشرين ساعة أي يسعل طيلة الوقت.

وهو لا يستطيع أن يخرج البصاق لأنه يحتاج إلى قوة عضلية وفي غياب هذه القوة من جسد الشيخ تراه يجاهد جهاداً عنيفاً حتى يخرج البصاق ثم تعاوده هذه الكمية وهكذا فهو لا يستطيع أن ينام الليل أو النهار إلا اختطافاً. ثم الأسوأ هو أن الشلل في عضلات البطن أدى إلى إمساك وأدى الإمساك إلى بواسير والبواسير بدأت تنزف وهو يعاني من النزيف في كل مرة مما يجعل الاعتناء به أمراً صعباً، هذا بالإضافة إلى وجود التهاب في الأذنين والعين (المتلحمة) وباختصار كما يقول د. الرنتيسي فإن الشيخ مستشفى به جميع أنواع الأمراض بنفسه.

وما زاد الطين بله هو أن الشيخ وضع في زنزانة طولها ٢٨٠ سنتيمتر في ٢٦٠ سنتيمتر، في هذه المساحة الضيقة يوجد ثلاث أسرة له

ولمساعديه الاثنين ويوجد دورة للمياه ومرحاض وهكذا لا يوجد مكان للحركة أو التنقل تمكن المرافقين له من القيام بعمليات تدليك لعضلاته ويتم إخراج الشيخ مدة ثلاث ساعات يومياً إلى ساحة تسمى «الفورة» وهي ساحة واسعة قليلاً يخرج إليها المساجين يومياً ليتشمسوا بها لتحريك عضلاتهم وأرجلهم وتسمى هذه الفترة فسحة والشيخ عملياً لا يستفيد منها لأنه يوضع على بطانية يحضرها معه مرافقاه ولا يتحرك فهو سواء كان في الزنزانة أو خارجها في الفسحة فإن وضعه كما هو إذن أن حركته حتى على كرسي لا تغير من واقع الأمر شيئاً فالمكان ضيق ولا يرى شيئاً خارج حدود الفورة.

تواؤم الشيخ مع واقعه في السجن

مع كل هذه المعاناة التي يلاقيها في وضع السجن إلا أنه كما يقول الدكتور الرنتيسي أيضاً فإن الشيخ متوكل على الله مؤمن بأنه ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن له صبر عجيب، فهو يصبر على البلاء بما تنوء عن حمله الجبال لا تسمع منه إلا الكلمة الطيبة والدعاء إلى الله حتى في أحلك الظروف ويضيف الدكتور الرنتيسي «إنني ما رأيت في حياتي وأنا طبيب رجل يعاني ما يعانيه في السجن ولكنه لا يتأفف (أي لا يقول أف) فالأصحاء يتأففون من السجن ولكن لا تسمع منه مثل ذلك أبداً ولكنه كله ثقة وطمأنينة وتوكل وثبات ويشهد له بذلك كل السجناء على اختلاف مشاربهم».

وهو (أي الشيخ أحمد) ذو عقيدة راسخة وإيمان قوي بأن ما قدره الله من أمور سيأتي ولديه يقين بأن هذا التمحيص والمعاناة لا بد وأن يتبعها نصر من عند الله (إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) لذلك فهو متفائل في أحلك الظروف».

طرائف أو كرامات

من الطرائف التي يمكن أن تعد من قبيل الكرامات التي مر بها الشيخ أحمد

ياسين في سجنه يذكر الدكتور عبد العزيز الرنتيسي الذي عاشر الشيخ أثناء فترة اعتقاله أنه عندما كانوا في سجن كفاريونا كانوا يخرجون يومياً في الفورة وكان الشيخ أحمد والدكتور عبد العزيز الرنتيسي وشاب ثالث يدعى نصر صيام وكان يخرج في نفس الفورة مساجين مدنيين من اليهود وكانوا قد ابتلوا بالبراغيث مما أدى إلى تلويث منطقة الفورة بهذه البراغيث التي لم تكن ترحم. يقول الدكتور عبد العزيز «كانت البراغيث تنقض علينا أنا ونصر صيام وكنانطاردها على أجسامنا وملابسنا ونقتل منها الكثير وكنا نستغرب في نفس الوقت أن الشيخ الجالس على بطانية لا يتحرك لا تقترب منه البراغيث مطلقاً».

وكان هذا الموضوع مثار ضحكات للثلاثة فكان الشيخ يقول مبتسماً لإخوانه أتحداكم أن تجدوا علي برغوثاً واحداً ويقول الدكتور الرنتيسي «نحن لا ندري أسباب التحدي ولا كنهه ولا الثقة الموجودة في الكلمات على الرغم من كونها تأتي في إطار المزمح» فكننت أرد عليه، يضيف الدكتور الرنتيسي أن البراغيث تبحث عن الأصحاء وتجري وراء الدم وقد علم الله ما بك فأبعد عنك البراغيث ولو كنت تجيد الحك لما سلمت منها يا أبو محمد»^(٢٥).

أما الطرفة الثانية والتي هي أقرب إلى الكرامة أيضاً فيقول فيها الدكتور عبد العزيز «في واحدة من أيام الجمع التي كانت أيام زيارة نزلنا ثلاثتنا إلى الزيارة كالعادة إذ كان أهلنا يأتوا معاً ويدخلوا الزيارة معاً وقد عودونا على ذلك ولكن في ذلك اليوم حضر أهل الشيخ وأهل نصر صيام ولم يحضر أهلي فقلقت قلقاً شديداً وانزعجت لأنها المرة الأولى التي لم يحضر فيها أهلي وبعد الزيارة عدنا معاً وكان الشيخ يسألني ويقول «توكل على الله حضروا أم لم يحضروا عليك أن تتحمل» فقلت إنني متوكل على الله ولكن القلب مشغول ولم أستطع بعيد الزيارة أن أحفظ أية آية (كان الدكتور عبد العزيز يكمل حفظ القرآن الكريم الذي استطاع أن يتمه في تلك المرحلة من السجن) ويضيف الدكتور عبد العزيز «وعندما وجدت نفسي مشغولاً جداً تنحيت ودعوت الله بهذا الدعاء "اللهم إن

كنت راضياً عن خدمتي وفعلي للشيخ فطمئني على أهلي" ويقول والله ما كتد أكمل الدعاء حتى كانت الإجابة فورية إذ حضر إلي شرطي الزيارة ليخبرني أن أهلي قد حضروا للزيارة فخرجت معه وشاهدت الأهل وفي طريق عودتي إلى الزنزانة إذ بشرطي من الدروز يوصيني ويقول «خذ بالك من الشيخ واهتم به» فكان هذا كما يقول الدكتور الرنتيسي مطابقاً لذلك واطمأنت نفسي وحمدت الله^(٣١).

مراجع الفصل الثامن

- (١) المعلومات الخاصة بالمحاكم شكلها وسيرها وأقوال المحامين السابقة وطعونات الشيخ مأخوذة من مجلة اليوم السابع التي تصدر في نيقوسيا مترجمة عن أحد الصحف العبرية.
- مجلة اليوم السابع ٢٢ يناير ١٩٩٠ وجريدة صوت الحق والحرية ٥ يناير عدد رقم ١٣.
- (٢) جريدة صوت الحق والحرية العدد رقم ١٣ الصادرة يوم ١٩٩٠/١/٥م.
- (٣) تصريحات الشيخ أحمد ياسين لصحيفة صوت الحق والحرية، المرجع السابق.
- (٤) مجلة اليوم السابع السابقة الذكر.
- (٥) مجلة فلسطين المسلمة نقلاً عن مجلة الغرباء الصادرة في بريطانيا بتاريخ ١٩٨٩/٣/١م.
- (٦) أحمد بن يوسف مرجع سبق ذكره ص ١٠١.
- (٧) جريدة النهار المقدسية ١٩٨٨/٩/١١م.
- (٨) مجلة البشير، الولايات المتحدة فبراير ١٩٨٨م.
- (٩) إلى فلسطين العدد ٣٠ الصادر في ٢٥ مارس ١٩٨٨م.
- (١٠) المرجع السابق.
- (١١) مجلة البيادر السياسي نقلاً عن مجلة يديعوت أحرونوت ١٩٨٨/٩/١٦م.
- (١٢) المرجع السابق.
- (١٣) مجلة إلى فلسطين مرجع سابق.
- (١٤) البيادر السياسي ١٩٨٨/٩/١٦م.
- (١٥) النهار ١٩٨٩/٤/٣٠م العدد ٧١٧.
- (١٦) المرجع السابق.
- (١٧) النهار ١٩٨٨/٩/١م العدد ٥٥٥.
- (١٨) نفس المصدر.
- (١٩) اللقاء الذي أجراه التلفزيون الإسرائيلي مع الشيخ أحمد ياسين بتاريخ ١٩٨٨/٩/٧م.
- (٢٠) النهار ١٩٨٩/٤/٣٠م.
- (٢١) جريدة البشير العدد الثاني فبراير ١٩٨٨م.
- (٢٢) فلسطين المسلمة ١٩٨٩/٣/١م.

(٢٣) إلى فلسطين عدد رقم ٣٠.

(٢٤) مقابلة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي سبق ذكر تاريخها.

(٢٥) المرجع السابق.

(٢٦) المرجع السابق.